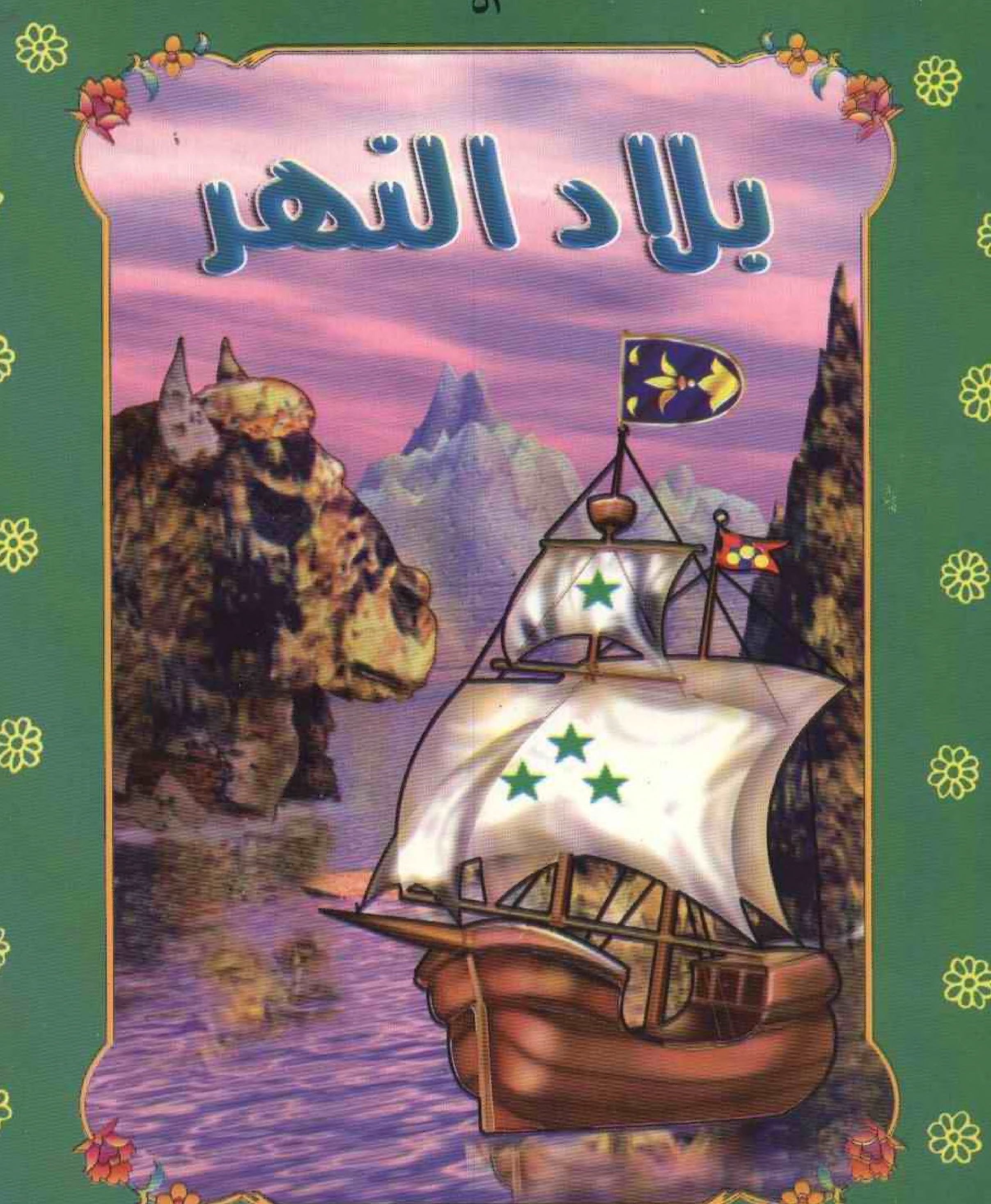
المكتبة الخضراء للأطفال

٥١



بلاد النهر

تأليف
دكتورة منى عثمان

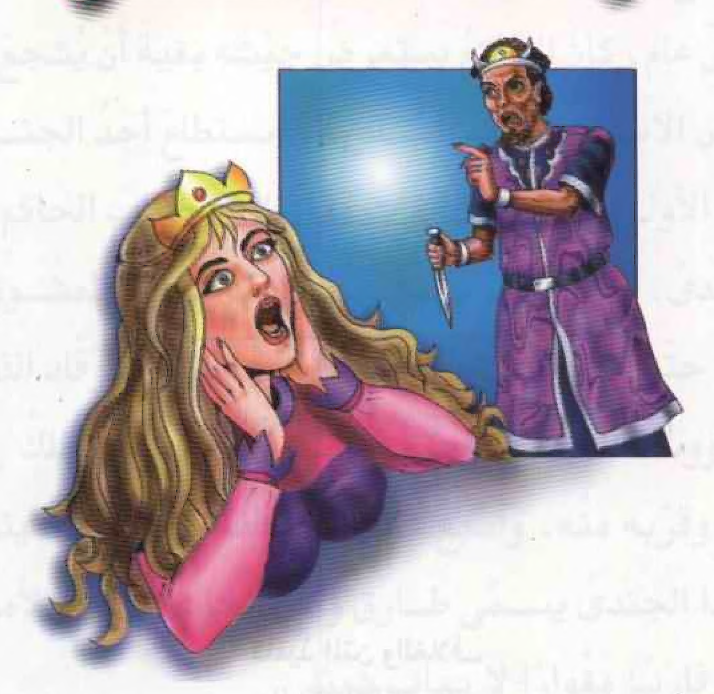
رسوم
مـاهر عبد القـادر

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال



بلاد النهر



تأليف
دكتورة منى عثمان

رسوم
ماهر عبد القادر

الطبعة الثانية



فِى سَــالف العصُورِ والأَزْمان، وَفِى بُقعةٍ بعيدةٍ عَلى سَــطْحِ الأرضِ، وُجدتْ (بلدةُ الجبل)، كَانتِ الحياةُ فيهَا تسيرُ هادئةً بسكانهَا الذينَ كانُوا يتمتعــونَ برَغَدٍ منَ العيشِ، بِفَضْلِ حَاكمهــم العَادلِ الذِى اهتمّ بشــئونِ البلادِ وجيشــهَا، حتّى صارَ منْ أَقْوَى الجيــوشِ، وزيَادة فِى حمَايــةِ بلاَده بَثّ رجَالَهُ وأَعْوَانَهُ فِى البلادِ المجَاورَةِ ليعرفَ أخبارَهَا ولاَ يستطيعُ أَحَدٌ أنْ يمسّ بلاَدَه بِسُوءٍ.

وَفى كُلِّ عام، كانَ الحاكمُ يستعرضُ جَيْشَه بغيةَ أَنْ يُشجعَ المتَازينَ، وفى بعضِ الاســتعراضَاتِ السّــنَويةِ، اســتطاعَ أحدُ الجنــودِ أَنْ يفوزَ بالمركــزِ الأولِ فِى كُل المســابقاتِ ممّا أثارَ إعجــابَ الحاكمِ بِه، فَطلبَ هذَا الجندىّ، وَمَا أن اقتربَ منْ منصّة المُلْك بقوامِه الممشُــوقِ وعضَلاته المتناسقةِ حتّى استطاعَ أَنْ يأسرَ الحاضرينَ بذَكَائِه الوَقّادِ الذِى يَشعُّ منْ عينيْهِ . ووسطَ كلمَات التشْجيع والاستحْسَان، مَنَحه الملكُ رتبةً كبيرةً بالجيشِ وقَرّبه منْه، وَأَسْبغَ عليه منْ عَطْفه وعَطَاياه الثمينة.

كانَ هذَا الجندىُّ يســمّى طَــارق وكَانَ الحاكمُ يُكلفه بالأمورِ المهمةِ؛ لأنه كانَ فارسًا مِغْوارًا لا يهابُ شيئًا.

وَفِى يومٍ منَ الأيام اســتدعَاه الحاكمُ على عَجَلٍ، وسمحَ له بالجلوسِ قريبًا منه، وكَانَ القَلقُ باديًا عَلى الحاكمِ، سأَلَ طارقٌ نَفْسَه عَمّا يشغلُ الحاكمَ إِلى هَذا الحد؟!.

وأخيرًا رفعَ الحاكمُ رأْسَه وصَوّب نظَرَاته لِعيْنى طَارق وسَأَله:



هلْ سمعتَ عنْ بلادٍ اسمهَا بلادَ النهرِ؟! فأجابَ طارقٌ: نعمْ يَا سَيِّدى.. إنهَا البلادُ التِى تقعُ فِى أَقْصى الشرقِ، ويفصلهَا عَنْ بَلْدتنا عدّةُ بلاد.

هزّ الحاكمُ رَأْسَه قائلاً: حسنًا.. فأنت إذَنْ تعرفهَا جيدًا، ثُمّ أردفَ لقدْ عَلم رجَالُنَا وَأعْوَانُنَا أنّ هَذه البلادَ تعدُّ العدةَ لغزْوِ بلاَدنَا.

انقبضَ قلبُ طارق ونظرَ إلى عَيْنى الحاكم القلقتيْنِ فاستطردَ الحاكمُ قائلاً: وعلمنَا أنّ بلادَ النهرِ لهَا جيشٌ قوىٌّ وَلَدَيهَا عدةٌ وعَتَادٌ، ونحنُ لنْ نقفَ مَكْتوفى الأيدِى حتّى يُبَاغتنَا العدوُّ فِى عُقرِ دَارِنَا فالهجُومُ خَيْرُ وسيلةٍ للدّفاع.. ولذلكَ فَكّرتُ أَنْ أرسلك إلى بلاَدِ النهرِ مُتَخفيًا لتعملَ مع مجموعةٍ من الرجالِ عَلى إثارةِ الهرَجِ والمرَجِ فى صفوفِ جَيْش الأعداءِ حتّى يُؤَجلوا الهجومَ قليلاً ليتسنّى لَنَا إعداد العدّة، وَلكنْ نريدُ معرفةَ الطريقِ الذى سيسْلُكُونه إلينَا؛ لأَنّ ذلكَ سيساعدنَا فِى تدبيرِ خُطّةٍ للقضَاءِ عَليهم.

نهضَ الحاكمُ وأخذَ يروحُ ويغدُو بالغرفةِ ويديْه مَعْقُودتين خلفَ ظهرهِ مُسْتغرقًا فِى تَفْكيره، وطارقُ يقفُ ويتابعُ الملكَ بعينيْهِ وَذهنه يتلاطمُ بالأفكارِ.

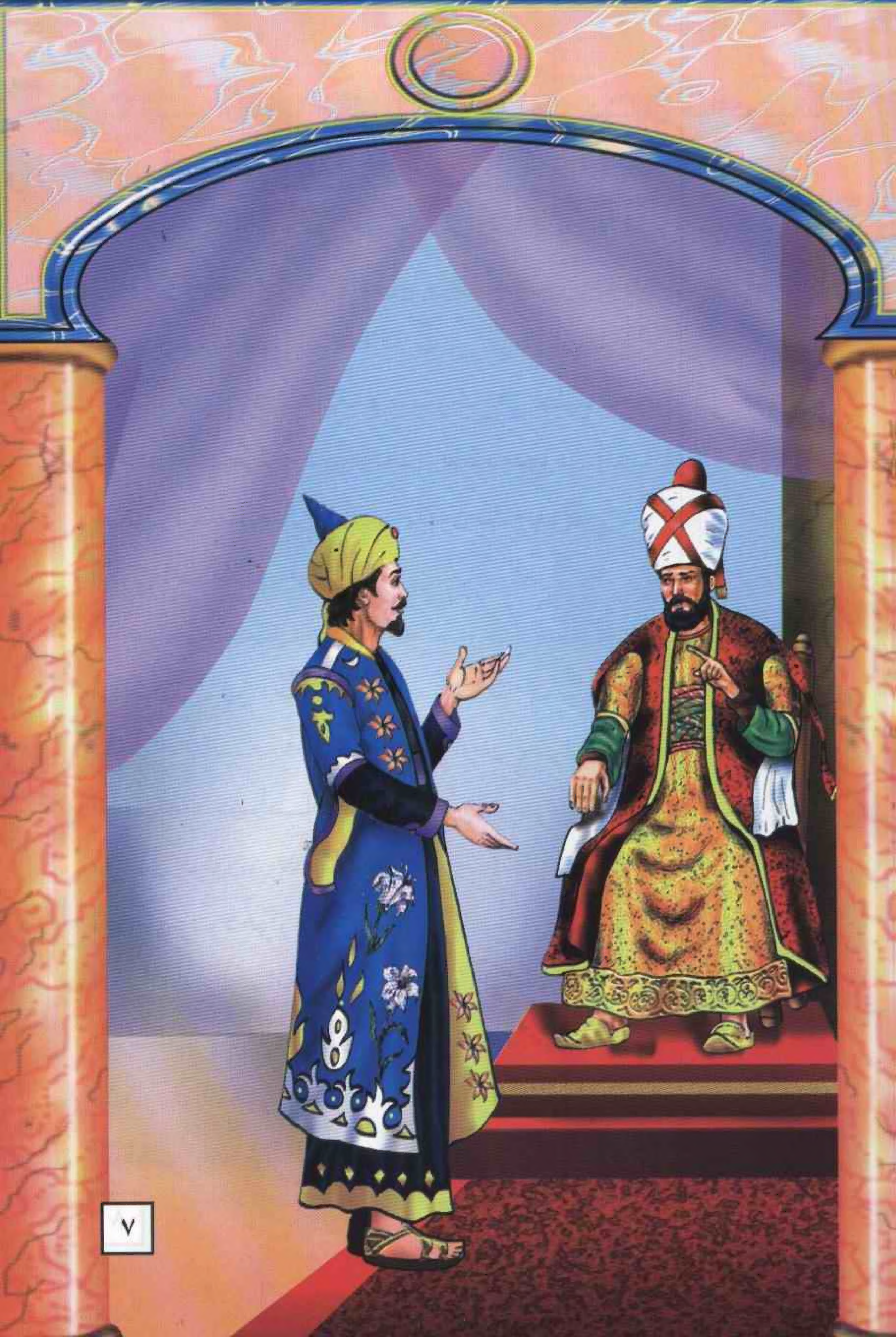
التفتَ الحاكمُ إلى طارق قَائلاً: لقدْ أرسلنَا أحدَ رجالنَا الذى يدعَى عبود منذُ سنينَ طَويلَةٍ مُتنكرًا فى هيئةِ أَهلِ تلكَ البلادِ واستطاعَ أَنْ يعملَ بُسْتَانيًّا بحديقةِ القصرِ المَلكى وهو منْ

أخلصِ رجالنَا، وعَلى اتصالٍ دائم بنَا بالرسَائلِ التى يبعثُ بهَا عنْ طريقِ الحمامِ الزّاجلِ.. وقدْ أرسَل إلينَا رسالةً تحتوى عَلى معلومَاتٍ وخريطةٍ تحددُ لكَ النقطةَ التِى ستدخلُ منهَا جيوشُ العدوّ حديقةَ القصْر. انصَرف الآن لكى تعدّ نفسكَ لمغادرةِ البلادِ، وسَيكون أحدُ رجَالِى معكَ؛ ليشرحَ لكَ كلّ دقائقِ الأمورِ ويَمدَّكَ بكلّ ما يلزمكَ.

قالَ طارقٌ بحماسهِ المعْهُود: إنّ رُوحِى ملكًا لبلادِى ولنْ أتوَانى يومًا عنْ تقديمهَا فداءً للوطَن. وأدّى التحيةَ العسكريةَ وانصَرف. ومَا أن همّ بفتحِ البابِ حَتّى فُتِحَ وَحْده، ووجدَ رجلاً ذا لحيةٍ طويلةٍ مُدببةٍ اصطحبَ طارقًا مَعَه لتجهيزِ كُلّ شَىْءٍ.

ومَا هِىَ إلا أيامٌ معدودَات حتّى كانَ طارقٌ مُلمًّا بكلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ عن عادَات وتقاليدِ أهلِ تلكَ البلاَد، واصْطَحبهُ الرجلُ وَمَعه بعضُ الحرسِ إلى شَاطىء النهر حيثُ يُوجدُ قاربٌ صغيرٌ قوىٌّ وضعَ فيه كُلّ مَا يحتَاجُ إليْه، وفى القاربِ رجلٌ عجوزٌ يجلسُ ممسكًا بالمجْدافيْنِ. صاحَ ذُو اللحيةِ المدببةِ، اهتم به يا عم عَتيق وَبودّ ظاهرٍ التفتَ إلى طَارق مازحًا: لاَ عليكَ منْ وجههِ المتَغضّنِ وشَعْرهِ الأشْيبِ، فقدْ صرعَ ذئبًا بذرَاعيْه منذُ أيّام.

ضحِكَ الرجلُ العجوزُ فخورًا بنفسِه، وارتفعتْ ضحكاتُ الرجالِ الواقفينَ.. ثُمّ صَافحه الرجلُ وشدّ عَلى كَفِّه بحرَارةٍ قَائلاً:



لا تنسَ أَنّ مصيرَ الوطنِ يتعلـقُ بنجَاحك. كَمَـا أَنّ حياتَكُم تهمنَا جِدًّا.. أجَابه طارقٌ بثقة:

إنْ شـاءَ الله سـنكونُ عندَ حسـنِ الظَنّ وآملُ ألاّ تكفُوا عنِ الدعاءِ لنا بالتوفِيق، ثـم قفزَ إلى القاربِ وبدأَ العجـوزُ بالتجديفِ وهُمْ واقفونَ يُلَوّحونَ لهمَا حتّى ابتعدَ القاربُ فى عرضِ البحرِ.

زفـرَ طارقٌ زفرةً عميقةً واسـترخَى فِى جلْسَـته ونظرَ إلى عم عتيق فوجدَهُ يبتسـمُ له وهوَ يجدِفُ فابتسمَ بدَوْره.. بَادره عم عتيق قائلاً: مُهمتُكَ صعبـةٌ ولكنّ الجميعَ يثقونَ بكَ ويتوقعونَ لكَ النجَاح.. أجَابه أتمنّى ذلكَ يا عم عتيق.

أَخَـذَ عـمْ عتيق يجدّفُ وهو شـاردٌ ثُم قَـالَ له: قد علمـتُ يَا بُنَىَّ أَنّ بـلادَ النهر محاطةٌ بالنهرِ منْ ثلاثِ جهـاتٍ، أمّا الجهةُ الرابعةُ فصحْرَاءُ شاسـعَةٌ فيهَا قُوّاتٌ كبيرةٌ منَ الجيشِ وسَـأَصحبُكَ إلى مكانٍ ليس ببعيدٍ عنِ الشّـاطىء، حيثُ يُوجدُ نُتُوءٌ صَخرِى عَلىَ شـكلِ رأسِ ثورٍ ذى قرنين، وعندَما تهبُّ الرياحُ خلالَ فتحاتِ هذَا النتُوء، يصدرُ منْـهُ صوتٌ كخُوَارِ الثورِ ممّا زرعَ الفزعَ فِى قلوبِ النّاس، وانتشـرتِ الخرافاتُ والشَـائعاتُ عنِ الجَان والشـياطينِ التى تسكنُ هذَا المكَان، ولذلـكَ لا يجرؤُ أحدٌ منْ أهلِ تلكَ البلادِ عَلـى الذهابِ إليه أو القربِ منه.. ولذلكَ فهو أمانٌ وإنْ شَـاء الله سنصلُ ليلاً ليساعدنَا الظلامُ عَلى التخفّـى عَن أعينِ الحرَاسِ المنتشـرةِ عَلى الشّـاطىء وهناكَ سـأنتظرُ



وتستطيعُ - أنت - السباحةَ بمفردكَ لتصلَ إلى الشّاطىء وتكملَ بَاقى الخطةِ مَعَ صديقنَا عبود.

استغرقَت الرحلةُ أيامًا طَويلة. وكانُوا يتناولونَ طعَامهم اليابسَ المكونَ منَ الخبزِ واللحمِ المقدّدِ والفوَاكه المُجَففة.. فبذلكَ تكونُ وَجْبتهم مُتَوازنة منَ الموادِّ النشَويّة والبروتينَات والسُّكّريات، وكانَ طارق وعم عتيق يتناوبُونَ التجديفَ والرّاحة.

واستمرّ الحالُ عَلى نَفْسِ المنْوَال وهمَا لاَ يكفّانِ عَنِ الصلاةِ والابتهالِ إلى اللهِ ليسَاعدهما فى إنجازِ المهمّة.

وَأَخيرًا رسَا القَاربُ بمحَاذَاةِ النتوءِ الصّخْرى، فدارَ عم عتيق نصفَ دورةٍ للخلفِ إلى تجويفٍ فِى الشّاطىء، أخفَى القاربَ فِيه وربطَه جيدًا ثمّ ترجّلَ حَاملاً مِصْبَاحًا غيرَ مُضىء، وسارَ فِى طريقٍ مُلْتفٍ يَعْلمه جيدًا وطارق يتبعهُ صَامتًا حَتّى وصلاً إلى نقطةٍ مُعينةٍ توقفَ عندهَا، وأشعلَ المصباحَ بعودِ ثقابٍ. تبدّدَ الظلامُ الدامسُ فإذَا هُمَا فِى بقعةٍ فسيحةٍ مثل قاعة سقفهَا مُرْتفع وبه فُجُوات كَثيرة تسمحُ بتجديدِ الهَوَاء، التفت طارق معانقًا عم عتيق وطلبَ منه مداومة الدعَاء له ليعودَ - سَالمًا - مع عبود.. ومَا هى إلا ثوانٍ وكان طَارِقٌ يسبحُ تحتَ سطحِ الماء قَاصدًا النقطةَ التى حددهَا عبود ثم أخرجَ رأسَه وتلفتَ بحذرٍ وقفزَ بخفّةٍ إلى الشّاطىء مُتسترًا بالظلَام.

وبالقربِ منَ الشّاطىء كانت هناكَ الشجرةُ الكبيرةُ التِى وصفهَا



عبّودُ في رسَالته.. وعندمَا بحثَ في فرعها المُتدلّي وجدَ ملابسَ عَلى طراز ملابس أهل البلاد، خلع ثيابَه المُبَلّلةَ وارتدَى الملابسَ الجافّةَ عَلى عجلٍ، وانطلقَ باحثًا عن الكوخ الخَشبي حيثُ ينتظرُه عَبّود.

وبينمَا هو ينتقلُ بحذرٍ سمعَ صوتًا خَافتًا لنحيبِ امرأةٍ. تيقّظت شهامتُهُ وأخذَ يبحثُ سريعًا عنْ مصدرِ الصوتِ حتّى وصلَ إلى بناءٍ صغيرٍ بطرفِ البستانِ يكادُ يَختفي خلفَ الأشجارِ الكَثيفة.. تسللَ بخفةٍ وأطلّ بحذرٍ منْ نافذةٍ مَفْتوحة فشاهدَ منظرًا عجيبًا.. كانت هناكَ امرأةٌ شابةٌ جميلةٌ شعرهَا الذّهبي مُسْترسلٌ، تجلسُ على حَافة فراشٍ بسيطٍ، وأمامهَا تَابُوتٌ له واجهَةٌ زُجَاجيةٌ يظهرُ منْ خلفهَا وجهُ ميتٍ محنطٍ. انقبضَ قلبُ طارقٍ وأرهَفَ السمعَ فلمْ يميزْ إلاّ كلماتٍ بسيطةٍ وسطَ هذَا النّحيب، وفهمَ أنّ هذه المرأةَ تبْكي زوجَها الذي يرقدُ داخلَ التّابوت.. جَاءت الوصيفةُ منَ الداخلِ بقوامهَا البدين حاملةً بينَ يديهَا بعضَ طعام، وَربَتَتْ على كتفِ الشّابة برفقٍ قَائلةً: سيدتي الأميرَة لابدّ أنْ تتناوَلينَ شيئًا منَ الطعام، لقد ظَللت عَلى هَذَا الحالِ يومينِ كاملينِ وأَخْشى عَلى جسدكِ الهزيلِ منَ الانهيارِ.

جَاءت كلمَاتُ الأميرةِ مُتقطعة يتخللهَا نحيبُهَا دعيني يا زهرة. وَضَعت الوصيفةُ صينيّةَ الطعامِ فوقَ مائدةٍ صغيرةٍ بجوارِ الفرَاش، ثم جلسَت بجوارِ الأميرةِ وأمسَكت بكفهَا بينَ يديهَا وقَالت بحنان: كنتِ دَوْمًا تناديني أمي، والآن بعدَ أنْ كبرتِ وصرتِ ملكةً لبلادِ



الشلال تُنَادينني باسمي.. التفتتِ الأميرةُ إلى زهرة وطَالعتْهَا بعينيْنِ باكيتيْن، ثُمّ ارْتمتْ فوقَ صدرهَا وانخرَطَت فى نَوْبةٍ منَ البكاءِ الحَار، حتّــى تقطّعَت نياطُ قلبِ طَارق لهذِه الفرَاشــةِ الجميلةِ التِي تكابدُ منَ آلامِ الحياةِ مَا لا تُطيق.

استمرّت الخادمــةُ تمســحُ رأسَ الأميــرةِ، وتربتُ علــى ظهرهَا وتلاطفهَــا. أمّا طَارق فقد دَفَعه الواجبُ الوَطنــى إلى البحثِ عنْ كوخ عَبُّــود حَتّى وصل أخيرًا إلى عدةِ أكواخٍ خَشَــبيةٍ فِي الطرفِ الآخرِ منَ البستانِ، وأمامَ أحدِ هَذه الأكواخ كَانت هناكَ جَرّةُ ماءٍ مُغَطّاة مُثبتة فوقَ حامــلٍ مَعْدنى.. تلفّت حَوْله، ثم طرقَ البابَ الخَشــبى بحَذرٍ طرْقتين مُتَتَاليتــين، ثم طَرْقة وَاحدة فقط.. سَــمِعَ صوتًا منْ وراءِ البابِ يســألُ هَلِ الطارقُ ظمآن؟ أجــابَ طارق: نعم والجَرّة خَالية. كَانت هَذه كلمةُ السر، ثُمَّ فُتِح البابُ، واندفعَ طارقٌ بسرعَةٍ للدّاخلِ، وأوصَدَ البَاب. ظَلّ طارق وعبود خلفَ البابِ بُرْهةً يُرْهفَانِ السمعَ وأنفاسهمَا تكادَ تتوقفُ منْ فَرْط الانفعالِ. فلمّا أحسّــا بالأمانِ، تعانقَا وأخذَا يتبادلاَنِ الأخبارَ والأسئلةَ بصوتٍ خافت.

وَمَا هى إلاّ سَــاعةٌ منَ الزمنِ حتّى بزغَ الفجرُ وبدأَتْ أنوارُه الخَافتةُ تتســللُ وتنتشرُ عَلى الكونِ الفَسيحِ.. انصرفَ عَبُّود لعملِه تاركًا طارقًا حتّى لا يُسَاوِرُه شكٌ.

وفى المَســاءِ عَاد عبود - مُحملاً - بأَطَايبِ الطعامِ منْ مطبخِ القصرِ،

ومَـا أن أغلـقَ بابَ الكوخِ خَلفه حتّى ظهرَ طَـارِق من خلفِ الخَزانةِ، وتنفّسَ الصُّعَدَاءَ قائلاً: ظَننتكَ أحدَ الغربَاء.. ابتسمَ عبود وضربَ كَتفه بخفةٍ قائلاً بهمس: لا تخفْ لاَ يأتِي أحدٌ إلى كُوخِي.. أشارَ طَارق إلى الخزانَةِ وقَال: هنَا تحتفظ بالحمَـام الزّاجل.. ضحكَ عبود وهو يفردُ مفرشًـا صغيرًا على الأرضِ نعم ولا أَحدَ يعلمُ هذَا السرّ إلاّ أنتَ الآن.. وتعاونَا عَلى تجهيزِ أطباقِ الطعامِ عَلى المفرَش..

ضحـكَ طارق وقال: منذُ تركتُ بـلادَى لم أحظَ بوجبةٍ لذيذةٍ كَهَذه. رَدّ عبـود: أعلمُ ذلكَ يَا صَديقى لذلكَ أتيتكَ بكلِّ مَا اسـتطعْتُ حَمْله.. ثـم تناولَ قطعةً كبيـرةً مِنَ اللحم المشْـوى ووضعهَا فِـى صحْنِ طَارقٍ وقَال: سـمعتُ اليـومَ أخبارًا هامّة. تبلّعَ طارقٌ طعامَه بسـرعةٍ ناظرًا إليـهِ يسـتحثُّهُ المُضى فِى الحَديث.. اسـتطردَ عَبود وهـو يصبُّ كوبًا مـنَ الماءِ البارِدِ قائلاً: أحدُ أصْدقائى الجنُود يشـكُو مِنْ كثرةِ التدريب تمهيدًا للغزْوِ الذِى سـيجتاحُ بلادنَا - نحـن - قريبًا.. وقدْ طلبَ منَ الطّاهى تجْهيز بعضِ اللحم المقددِ سـرّا ليخفيهِ بينَ طيّاتِ مَلاَبسـه؛ لأنهم سيسْلكونَ طريقَ الصحراءِ ويخْشَى منْ قلةِ الطعَام.. كَمَا أنّ كبيرَ الوزراءِ فِى حالةٍ تذمُّرٍ شـديدٍ ولاَ يُعجبه شـيءٌ مـنْ تدبيرِ الحاكم، ولكنـه لاَ يملكُ إلاّ الانصيـاعَ لأوامِره كارهًا مُنتظـرًا الفرصةَ المواتيَةَ لانتزاعِ الحكم منه.

لمعتْ عينَا طَارق بفرحٍ وقَال: إذنْ علينَا العودَةَ بسرعَةٍ لإخبَارِ الحَاكم

لإعـداد كمين لَهُـم بالصّحرَاءِ.. ولكنّهُ تذكّرَ شـيئًا فجْـأةً.. أَخبرْنِى يَا أخِي.. مَا قصةُ هذه السيدة الباكِية أمامَ التابوتِ؟.

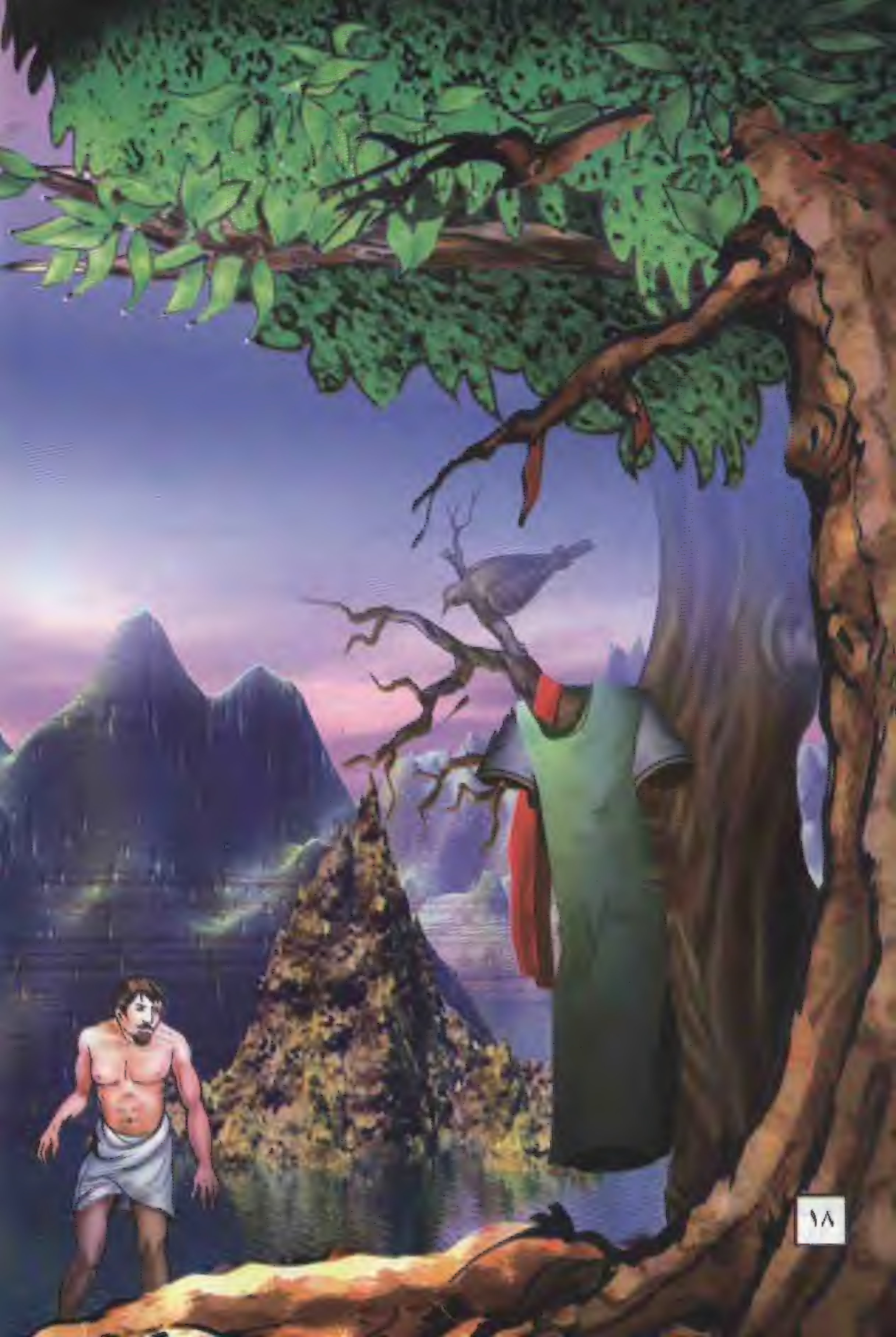
ضحكَ عبود ضحكةً مكتومةً وأشـارَ بيدِه باسْتخفَاف: إنّ حاكمَ هذه البلادِ شـيطانٌ مَاكِرٌ.. فهذهِ السـيدةُ أُختُه وكانَ زوجهَـا مريضًا منذُ صِغَـره ويتوقعُ له الجميعُ الموتَ ومعَ ذلكَ زوّجَها له دونَ إذْنِهَا؛ لأنه حَاكم بلاَدِ الشـّلال التِى تقعُ شمَالاً. والآن وبعدَ موتهِ ضمّ بلادَ الشلالِ



لبلادِ النهرِ. أمّا أُختِه التى أصابهَا الكمدُ والحزنُ الشديدُ بعدَ موتِ زوجهَا فلمْ تكفّ عنِ البكاءِ وتظاهرَ هو بمُشاطرتهَا أحزانهَا، فنقلَ إقامتهَا لهذَا البناءِ المتواضعِ، ووضعَ لها جثمانَ زوجهَا المحنّطِ فى التابوتِ ذى الواجهَةِ الزجَاجية ليتسنّى لهَا أنْ تطالعَه كلّ يومٍ بعدَ أنْ أقنعهَا أنّ الوفاءَ لا يكونُ إلاّ بهَذه الطّريقة، وطبعًا.. يعلَمُ الجميعَ أنَه أرادَ بذلكَ إبعادهَا حتّى لا تطالبَ بعرشِ زوجهَا المتوفّى. ولِكَىْ يسْتَوْلى هو عَلى كلِّ شىءٍ.

التفتَ عبود لطارق وهمَا يُلملمَانِ الأطباقَ الفارغَة: علينَا بالعودةِ غدًا فجرًا وسأُمهّدُ أنَا طريقَ الفرَار أولاً ثمّ أعودُ إليكَ حتّى نكونَ فِى أمانٍ منْ أعينِ الحَرَس.. ونَامَ الاثنانِ وكلٌ واحدٍ يعتملُ فى ذهنهِ أفكارًا مُتلاحقةً.

ومعَ أَوّلِ خيوطِ الفجْرِ انطلقَ عبود إلى البستانِ متظاهرًا بتأديةِ عَملِه، ولم تمضِ إلا فترةٌ قصيرةٌ حتى عادَ لاَهثًا تكادُ عينَاه تخرجَان منْ محْجريهمَا، وأخبرَ طارقًا بكلماتٍ سريعةٍ أنّ أحدَ المزارعينَ وجدَ مَلابسه المبتلةَ عندَ الشجرةِ الكبيرةِ وسيذهبُ ليبلغَ رئيسَ الجندِ، فالجميعُ يعلمُ أنّ هذَا هو الزىُّ الوَطنى لبلادِ النهرِ ومعنَى ذلكَ أَنّ هناكَ بعضَ الجوَاسيسِ بالقصرِ.. وَجمَ طَارق ولم ينطقْ بشىءٍ. قالَ عَبّود بسرعةٍ.. لا تقفْ هكذَا سيقطّعُونَنَا إرْبًا إرْبًا، واستطردَ وهو يَدْفعه برفقٍ إلى البابِ، اهربْ قبلَ أنْ يأتى الحرسُ وينكشفَ أمرنَا.



انطلقَ طارق ودقّات قَلْبه تتسارعُ وَمَا أن اقتربَ منْ حافةِ النهرِ حتى شاهدَ من بعيدٍ مجموعةً منَ الحرسِ ترتفعُ أصوَاتُهم ويشيرونَ بأيديهِمْ إلى الشـجرةِ الكَبيرةِ.. فانطلقَ يتوَارى خَلْفَ أشجارِ البستانِ ولم يدرِ بنفسـه إلاّ وهو يقفزُ داخلَ غرفةِ الأميرةِ الباكيةِ.. ولحسنِ الحظِّ كانَ النعاسُ قد غلبهَا فلَمْ تره وهو يختفى أسفلَ سريرهَا.

اسـتيقظتِ الأميرةُ عَلى الحركةِ اليسـيرةِ وصَاحت: مَــنْ؟ مَنْ؟ هَلْ أحدٌ بالغرفةِ؟ سـادَ الصمتُ وقلبُ طارق يكادُ أَنْ ينخلع رعبًا، جَاءت الخادمةُ البدينةُ مُسرعةً تسـألهَا بصوتٍ اختلطَ فيه النعاسُ بالخوفِ سـيدتى الأميرةُ: مَاذا حدثَ؟.. تلفتت الأميرةُ تجـولُ بنظراتهَا فى الهـواءِ حولهَا وقَالــت بهمسٍ: لابدّ أَنّ روحَه معنَــا الآن بالغرفةِ ثُمّ انخرطَت فى بكاءٍ عَنيف.. تنفسَ طارق الصّعداء وظهرَ الامتعاضُ عَلى وجهِ زهرة وجلسَــت بجوارهَا على حَافةِ الفرَاش، فهبطَ الفراشُ بقِوةٍ لأسـفلَ فوقَ رأسِ طارقٍ الذى كادَ أنْ يصرخَ.. يا حبيبتى لم يجرؤْ أحدٌ عَلى إخبارِكِ بشـيءٍ بشأنِ زوجكِ المتوفّى خوفًا عليكِ وَلكنىّ سأخبركِ الآن بكلّ شيءٍ خوفًا عليكِ أيضًا، لأنكِ تذبلينَ كل يومٍ حُزنًا عَلى إنسانٍ أَخْفى عنكِ حقيقتَهُ الخبيثَةَ!!..

نظـرَتِ الأميرةُ بحـدةٍ إلى زَهْرَةٍ وصَاحت: تَبًّا لــكِ لاَ تتكلّمى عنْه بهذِه الطريقةِ.. استطردَت زهرةُ غيرُ عابئةٍ.. إنه كانَ يخططُ للخلاصِ منـكِ والــزوَاج بابنة ملكِ البـلادِ المجَاورَة، ليتسـنّى لـه ضمّهَا إلى



بلادِهِ وتأكّدِى بنفسِـكِ إنْ كنتِ لاَ تُصَدقيننى.. اسألِى أَىَّ جُندِىٍّ منَ الحرَس.

جنّ جنـونُ الأميـرةِ واندفَعَـت للنافذةِ تسـتدْعِى أحـدَ الجنودِ لدخـولِ حجرتهَا ثم صَرَخت فيه بأَعْلـى صَوْتها.. هل سمعتَ شـيئًا عَنْ مُؤَامرةٍ كَانت تُدبر للخـلاصِ مِنِّى منْ قِبَلِ هـذَا الميت؟.

تَلَعْثم الجندِىُ وزَاغت نظراتُهُ بينَ الأميرةِ وزهرة وأخيرًا قال:

نعـم يا مولاَتِـى.. وكانَ الناسُ جميعًـا يَصِفُونَهُ بالغباءِ والخِسّـة، فابنـةُ ملكِ البـلادِ المجاورةِ لاَ تصـلُ إلى نصفِ مَرْتبتـكِ منَ الجمالِ وحسنِ الأدبِ.

انهَارت الأميرةُ فى جِلْستهَا عَلى الكُرسى مُتَمْتمة، إذنْ الحكايةُ صَحِيحة. تلفّـتَ الجُندى حَوْله بارتباك ثُمّ انصرفَ مُسرعًا.. اقتربتْ منهَا زهرةٌ

وقالت قَدْ تولّيتُ تربيتك منذُ أنْ تُوفيت وَالدتك رحمهَا الله وأنت طفْلة رَضيعة، ويعلمُ الله كَمْ أُحبك وأشعرُ بأنكِ ابنتى وَفلْذَةُ كبدى.. ثُم مَسحت بإحدَى كفيهَا الدموعَ المنحدرةَ علَى وَجْنة الأميرة.. كانَ يمطركِ بِكَلمَاته المعْسُولة تملُّقًا لأخيكِ الملك، ولمْ تعلَمى أَدْنى شىءٍ عنْ سياسَته الداخليّة لبلادِ الشلال المغْلُوبة عَلى أمرهَا.. وبدلاً منْ أنْ تَصْلحى مَا أَفسده عَلى مَدَى سنوات انزوْيتِ بينَ هذه الجدرَان، وحبسْتِ نفسكِ معَ الأوهَام تاركةً أَخَاكِ الطّاغى يضمُ بلادَ الشلال لبلادِ النهر، ويعيثُ فسادًا فيهمَا أكثر منْ هذَا الميتِ الماثل أمامنَا.

نظرتِ الأميرةُ بوهَنٍ مُتوسلةً إليهَا، أرجوكِ يَا زهرة.. يَا أمى.. يَا حبيبتى.. أنا لا أَستطيعُ التحملَ أكثرَ منْ هَذَا.. ردّت زهرة بغضب: بلْ تَستطيعين وأنا لو تركتكِ تستسلمينَ بهذَا الشكلِ المُهين سوفَ يقضى أخوكِ عليكِ كمَا قَضَى منْ قبلُ علَى أخيه الأكبرِ لتظلّ الساحةُ خاليةً له. تقلّصَ وجهُ زهرة وصَاحت فِى ذُهُول ماذَا؟ ماذا قُلْتِ؟.. هَلْ أخِى هذَا هُوَ الذِى قَضَى عَلى أخِى الأكبر؟!..

أجابت زهرة فِى أسَى نعمْ يَا حَبيبتى.. أنتِ ملاكٌ طاهرٌ لاَ تدرينَ شيئًا عما يحدثُ فى الخفاءِ.. كنت طفلةً صغيرةً عندمَا مرضَ أخوكِ الأكبر بمرضٍ يسيرٌ وأَصَابته حُمَّى، وكانَ أحدُ الخدم الأوفياءِ يلازمُ المريضَ دائمًا حتى يُلَبى احتياجَاته.. وذاتَ ليلةٍ طلبَ منه كُوبًا منَ العصيرِ فذهبَ لإعدادِه وعندَ عَوْدته أراد ألاّ يزعجَ المريضَ لعله نَائم

فدخلَ بخفةٍ ومنْ خلفِ الستائرِ شاهدَ أخَاكَ الحَاكم مُطبقًا عَلى عُنقه حتّى أزهقَ رُوحَه، فتسللَ الخادمُ هاربًا وأتى إلى المطبخِ في حَالةِ هَلَعٍ وكنتُ بالمطبخِ في ذلكَ الوقتِ منَ الليلِ أُجهزُ لكِ الحليبَ، فأَسَرّ إلىّ بما رَأى فنصَحْته بإطباقِ شَفَتيْه وإلا سنواجهُ نفسَ المصيرِ، وفِي الصباح أُشيعَ الخبرُ أنّ وليّ العهدِ مَات بتأثيرِ الحُمّى. فصَدّقه الجميعُ.. ظَلّت الأميرةُ واجمةً وزهرةُ منكسَة رأسهَا للأرضِ، ويعْترِى وجههَا الأسى، وأخِيرًا تكلّمت الأميرةُ.



قالت: بالأمس غَلَبنى النعــاسُ ورأيتُ رُؤْيةً جَعَلتنى أفرحُ. نظرتْ إليهَا زهرةُ باهتمام وَقَالت مُسْــرعةً: (ماذَا رأيتِ).. أَسْــندت الأميرةُ رأسهَا لظهـرِ الكُرسـى ونظرَت للأمـام وَقـالتْ: رأيتُ أَننى أتقـدمُ منْ أخِـى وهو جَالسٌ عَلى عَرْشــه وحينمَا اقتربتُ منه ســقطَ خَاتمى منْ إصْبعـى فانحنيتُ لالتقاطِه.. فرأيتُ ذيلاً يتدلّى منْ تحتِ طَرفِ ثوبِ أَخِى وله أرجلٌ ومخالبٌ كالثعلَب.. اعترانِى خوفٌ شديدٌ منه ونظرتُ مليًّا لوجْهِه فرأيتُهُ يتقلّصُ ويتغيّرُ حتّى صَارَ ثعلبًا.. ركضْتُ.. رَكَضَ



خَلفـى يريدُ أنْ ينقَضّ علىّ فانشـقّت الأرضُ عَنْ جُندى جميلِ الطلعةِ غَريبِ الهيئَةِ والملابسِ، اسـتلّ سـيفَهُ وقتلَ الثعلبَ، واستيقظتُ منْ نَومِى فزعَةً.. هزّتْ زهرةُ رأسـهَا بأَسًـى قائلةً أرأَيـتِ يَا ابنتى.. إنّ الله يُحذرك.. ثم أشـارتْ بضيـقٍ للتابوتِ.. والجثمان هـذَا لابدّ أنْ يُواريَه الترابُ.. هزتِ الأميرةُ رأَسهَا مُتمتمةً نعم نعم لابدّ أنْ أَنْهَضَ وأكونَ قويةً سـأرحلُ إلى بلادِ الشلالِ، وأشغلُ نفسِى بهموم شعبِى.. ونهضَت مُسْـرعة لابدّ أنْ أغتسـلَ وأبدلَ مَلاَبسِـى كـى أظهرَ بمظهرٍ



الملوكِ، وسأذهبُ الآن لأخي لأسْتأذنَهُ فِي السّفرِ واستلامِ مَقاليدِ الحُكمِ. فنهضتْ زهرة تلحقهَا إلى الحمّام..

أخيـرًا تنفّسَ طارق الصُّعَدَاءَ.. فمَا أن انصرفتَا معًا إلى الخارجِ حتّى سارعَ بالاغتسالِ، وشَربَ الماءَ الباردَ، وتناولَ الطعامَ.. ومَا أنْ أتاه منْ بعيدٍ صوتُ الأميرةِ وخَادمتهَا - تقتربانِ - حتّى عَادَ للاختفاءِ أسْـفَلَ الفراشِ مرةً أُخرَى.. ومَا هي إلا ثوانٍ حتى كانتِ الأميرةُ جالسةً عَلى حافةِ فراشِـهَا، تعاتبُ خادمتَهَا غَاضبـةً. أرأيتِ يَا زهرة أخِي طيبٌ جدًا ولَمْ يمانعْ منْ إعطائِي حُكم بلادِ الشلالِ، وسيدفنُ زوجِي غدًا كمَا أنه سيُعْطيني أيضًا نَصيبي منْ ميراثِ أبي دونَ أنْ أُطالبَه بِه.

تنهّدتْ زهرة مُفكرةً.. إذا ســارتِ الأمورُ كمَا قالَ فلنْ أسامحَ نفسِي أبدًا عَلى تَصْديق هذَا الخادمِ الذِي قالَ إنه شاهدَ جريمةَ القتلِ بنفسه، ولكــنْ عليك أنْ تأكلــي الآن.. وتوقّفَت الكلماتُ فــي حلقهَا.. التفتَتْ إليهَا الأميرةُ ماذَا يَا زهرة؟ أشَارت الخادمةُ إلى مَائدة الطعَام وقالت: مَنْ أكلَ الطعامَ هلْ دخلَ هنَا أحَد؟. أشــارتِ الأميرةُ بضيقٍ ومَنْ عســاهُ أنْ يَدخلَ أيتهَا الحمقاءُ لعلهَا قطةٌ شاردَةٌ.. لاَ عليكِ أنا لا أستطيعُ أكْلَ الكثيرِ، وأشــارتْ بيدهَا قائلةً هناكَ عَلى الرّفِ توجدُ علبةٌ بهَا كعكٌ أَحْضري لي بعضًا منها.

واكتفــتِ الأميرةُ ببعضِ الكعكَاتِ، وشَــربتْ قدحًــا منَ الحليبِ.. أما زهرة فحمَلت الصينيةَ للداخلِ وَهِيَ فِي حَيْرةٍ منْ أمرهَا.

مَـرّ اليومُ ثقيلاً عَلـى طَارق وهو مختبئٌ أسـفلَ الفراش، ومنْ حين إلى آخرَ تجلسُ زهرة بجوارِ الأميرةِ فَتُصيبه ضَغْطةٌ قويةٌ فوقَ رأسـه بتأثيـرِ وزنهَا الثقيـلِ، والأَميرةُ لاَ تكف عنْ تعنيفهَا لظنهَا السّـيئ بأخيهَا المَلك.

جـنّ الليلُ عَلى ثلاثتهم الأميرة مُسْـتغرقة فى سُـبات عميقٍ، بعدَ ليالٍ قاستْ فيهَا السهَادَ والأَرَق.. وزهرة عَلى أريكةٍ فى أَقصَى الغرفَةِ يتعَالى غَطيطُهَا، وطارق أسفلَ الفراشِ أَخَذته سنةٌ منَ النوم وهو يُفكرُ فِى عم عَتيق وكيفيّةِ الاتصالِ بعبود للفرارِ بسرعَة.. وفجأةً انتبهَ طارق عَلى صـوتِ فتحِ البَاب بهدوءٍ، وعندمَا نظرَ منْ مَخْبئه شـاهدَ قدمينْ ترتديانِ الجواربَ فقط، تقتربُ بخفةٍ منْ فراشِ الأميرةِ، تَحَفّز طَارق للهجومِ، ولمْ يدرِ أيخرجُ الآن لمواجهـةِ هذَا المجهولِ أَمْ ينتظر؟.

فمنَ المؤكدِ أنه يريدُ شرّا بالأميرةِ، لمْ ينتبه هذَا المجهولُ فى الضوءِ الضـعيفِ إلى الطّـاولةِ الصـغيرةِ فِى مُنتصـفِ الغرفَـةِ وفوقهَـا علبةُ الكعكِ الزجاجيّةِ فاصطدمَ بهـا، وتهشّـمت عَلى الأرضِ باعثةً صوتًا أيقـظَ الأميرةَ، أَمّا زهرة فتقلبتْ عَلى الجانبِ الآخرِ وغَمْغَمَت وكأنهَا فى حلْم.

صاحَـت الأميرةُ أخِى.. مَاذا أَتى بكَ فِى هَذهِ السّـاعة؟ اقتربَ منهَا أكثرَ وجلسَ بجوارهَا عَلى حافةِ الفراشِ ومدّ إليهَا ذراعيْهِ وقالَ:

لأقضِيَ عليكِ أيتهَـا اللعينةُ كمَا قضيتِ عَلى أخيكِ الأكْبرِ منْ قبل..

أتريدينَ أيتهَا الحشـرةُ أنْ تَأْخذى مِنِى بلادَ الشلال.. لن أسمحَ لأحدٍ أبدًا أنْ يهدمَ المجدَ الذى رَسَمْته لنفسى.

فِى هـذِه الأثناءِ كانَ طارق يزحفُ بخفةٍ من تحتِ الفراشِ ممسـكًا بخنْجره، حَتّى صارَ خلفَ الحاكمِ مُباشرة، فعاجَلَه بطعنةٍ قاتلةٍ قبلَ أنْ يَصِلَ بيديْهِ إلى أُختهِ التِى قَفزَتْ صَارخَةً وقدْ تملكهَا الرُّعبُ.



استيقظتْ زهرة التِى وقفتْ مشدوهَةً لاَ تعى منَ الأمرِ شيئًا، تشبّثَتِ الأميرةُ بزهرة وصرخت أخِى كانَ يريدُ قَتْلِى كمَا قتلَ أخِى الأكبرَ.. وكانتْ زهرة تنقلُ نظراتهَا بينَ طارق الوَاقف أمامهَا

والخنجَـر فِي يَده وبينَ الملكِ المُنْكفئ فوقَ الفراشِ وقَدْ فارقَ الحياةَ.

أطالَت الأميرةُ النظرَ إلى طارق، وصَاحت أنه هو يَا زهرة هـو الجُندى الذِى رأيته فِي مَنَامى يقتـلُ الثعلبَ. التفتتْ زهرة إلـى طارق تَسْـأله بخوفٍ، ولكـن منْ أنتَ وكيـفَ دخلتَ إلى هُنَا؟. أخذَ طارق يفسـرُ لهمَا سببَ



وَجُوده هنَا ومعَ أولِ خيوطِ الفجرِ كانَ قد أتمّ قِصّتَه.

علاَ الوجومُ وجهَ الأميرةِ، واستغرقَتْ فِي تفكيرٍ وحيْرةٍ ثُم قالت له إذَنْ فأنتَ منْ جندِ العَدُوِّ.. انحنَى طارق أمامهَا بأدبٍ وقالَ أنَا يا سيدتى لستُ عدوًّا ولاَ وَطَنى عدوٌّ لأىّ بلدٍ، فنحنُ مُسَــالمين وكانَ مَقْصدنا فقط الدفاع عَنْ بلادنَا ضِدّ الهجوم الذِى كانَ أَخُوكِ يخطّطُ له، وأبدًا لَنْ نقومَ بدورِ المهاجم الغَازِى.. وسنشــكرُ لكِ صنيعك على إكرامنَاوترْكنا نرحلُ دونَ توقيعِ أىِّ أَذى علينَا.. ابتســمتِ الأميرةُ وقالت: وهَل تظنُّ أَنّ منَ الممكنِ أَنْ أُعاقبَكَ بعدَ أَنْ أنقذْتَ حيَاتى ثم التفتَتْ إلى زهرة.. هَيّا يَا زهرة أسْرعى بإحضَارِ طعامٍ وشرابٍ له، فقد مَرّ يومٌ كاملٌ دونَ أنْ يأكلَ شيئًا.

جلَسَتِ الأَميرةُ علَى كُرسى وقالت: كنتُ دائماً أشعرُ بأننِى ضَعِيفة وأخافُ منْ كُلِّ شــىءٍ ولكنْ فِى وجودِ جُندى باســلٍ مثلكَ أشعرُ أننى فِى أمانٍ.

تمتمَ طـارق سـأكونُ فى خدمةِ سيدتى الأميرة دَائمًا إنْ أَرادت. نظرتْ إلَى عينيْهِ نظرةً عميقةً مُتســائلةً حقًّا ستبقَى مَعى دائمًا. ارتبكَ طارق وشعرَ بالدماءِ ساخنةً تندفعُ إلى وجنتيْهِ ولم يَشْعرَا بزهرة التى وَقفت تنظرُ بضيقٍ وهى تحملُ صفحةَ الطعامِ ثم تَنَحْنحت: مولاتى. التفتت الأميــرة آه ضَعيهَا أمَامه يَا زهرة، هَيّا تَنَاولْ طعامكَ فأجابهَا بلطفٍ: إنْ كنــتِ ســتأكلينَ معى فلا مانعَ عِنْدى. ضحَكَــتِ الأميرة وبدأتْ فى تناولِ الطعَامِ معه وهى لا تكفُ عنِ الحديثِ والأسـئلةِ وهو يجيبهَا،

وقد تبدّت السـعادةُ عَلى مُحَيّاه حتّى تسلّلَتْ أشعةُ الشمسِ عَلى الكونِ الفسـيحِ. وهنَا كانَ التعبُ والسـأمْ قد سـيطرَ عَلى زهرة فصَاحت ألا تشعُرَان بخطورةِ الموقفِ الآنَ؟ نهضَ طارق قائلاً: لاَ عليكِ سنبدأُ الآن.. ولكـنْ علينَا أَنْ نصلَ إلى عبود وإلى المخْلصـينَ منَ الخدمِ الذينَ تثقينَ فِيهـم جدًّا حتّـى لا نترك المجالَ لكبيرِ الـوزرَاءِ فيعملَ عَلى اقتنَاصِ الفرصَة ويفـرضَ نفوذَه عَلى البلاَد.. والتفتَ إلـى زهرة هيّا يا زهرة أسْـرعِي إلى القصرِ واجْمَعى كُلَّ منْ تثقينَ فِيهـم وأَخبريهم بضرورةِ التسلّحِ بالخناجرِ والسيوفِ، وسَنَرى كيفَ ستسيرُ معنَا الأمورُ.

ومَا أَنْ خَرجت زهرة حتّـى فتحت الأميرةُ خزانةَ الثيابِ والتفتتْ لطارق وَقالت: منَ الأفضـلِ أنْ تتخَفّى فى ملابسِ زهرة حتّى نتحركَ بِحُريّـة. وكانَ عَلى الأميرةِ أنْ تربطَ عَلى جسـدِ طارق بعضَ الوسـائدِ حتّـى لا تكونَ الملابسُ فضفَاضَةً مُتهدلةً عَليـه وأخفتْ وجْهه بنقابٍ أسـودَ، وسَـارَ بجوارِ الأميرةِ يكادُ أَنْ يتعثّرَ فِى مشْيته فِى الحـذاءِ النسَـائى ذى الكعبِ العَالى.

وأخيـرًا وَصَلاَ إلى كُوخ عبود.. طرقَ طارق البابَ الخَشَـبى طرقتينِ مُتتاليتيْنِ ثُمّ طَرقه واحدةً.. جاءَ صوتُ عبود منْ خلفِ البابِ مُتَسـائلاً: هَـلِ الطارقُ ظمآنٌ؟ أجابَ طارق نعم والجرّةُ خَاليةٌ.. ومَا أَن فتحَ البابَ حتّى اندفعَ طارق إلى الدَّاخلِ.

وقفَ عبود مشـدوهًا ولم يفقْ من ذُهُوله إلا عندمَا رفعَ طارق النقابَ

عنْ وجهِه ولمْ يتركه طارق يتخبطُ فِى حَيْرته وإنمَا سردَ عليه بسرعةٍ ما حدثَ فِى غرفةِ الأميرة، وظل طارق ممسكاً بيد الأميرة ليطمئنها، بسـرعةٍ وضعَ عبود خنجرَه فى الحزام المشـدودِ عَلى وَسـطِه أسـفلَ مَلاَبسـه، وخرجَ منطلقًا إلى القصرِ يتوَارَى خَلْفَ الأشـجارِ المنتشرةِ بالبسـتانِ. أما طارق والأميرةُ فأخذَا يَسـيرانِ علـى مَهلٍ وما أن وصلاَ إلى القصرِ حتّى أزالَ طارق تنكُره بسـرعةٍ وصاحَ فِى كلِّ رجَالِ القصرِ وقَـالَ: فلْيَعْلـم الجميعُ مِنَ الآن أَنّ الأميرةَ سَـتتوجُ ملكةً لبلادِ النهرِ وبلادِ الشـلال، وأخذت زهرة تقصُّ عليهـم كلّ ما حدثَ ليلةَ أمس، واندفعَ الخادمُ العجوزُ يقصُّ عَلى الجميعِ ما حدثَ منذُ سنواتٍ طويلةٍ فـى مخدَعِ الأخِ الأكبرِ.. أذعنَ الجميعُ وأطاعُوا بمَا فِيهم كبير الوزراءِ عندمَا شـاهدَا السـيوفَ والخناجرَ بأيدى كلّ منْ يلتفُّ حولَ الأميرةِ وطارق.

ظلّ طارقٌ معهَا يُؤَازرهَا ويحميهَا حتّى اسْتتبّ لهَا الأمنُ، وتسلّمت مقاليـدَ حكمِ البـلاَدِ.. وهنَا أرادَ طارق أنْ يسـتأذنهَا فِى الرحيلِ إلى بـلاَده، فتشـبّثَتْ بيدِه ونظرَتْ إليه مُتوسـلةً.. حقًا.. هلْ تسـتطيعُ الرحيـلَ عَنِّى.. أجابهَا بصوتٍ مُتَهَدّجٍ حَزينٍ: مهمَا قلت لاَ أسـتطيعُ أَنْ أَصـفَ لـكَ مبلغَ الألمِ الذى يعتصـرُ قَلْبى وأنا أبتعدُ عنِ الفراشـةِ الجميلـةِ التى وقعْتُ فِى حبهَا منْ أولِ يوم وقفْتُ أُراقبهَا خِلْسَـةً منَ النافذةِ وَهى تَبْكى.. تشـبثَتْ بِه أَكْثر وقَالَت ولماذَا تبتَعِدُ ؟.. وتبادلاَ



نظرةً طَويلةً ذَاتَ مَعْنى. ومَا هى إلاّ ساعةٌ واحدةٌ حتّى كانَ خبرُ زواجِ الأميرةِ منَ الجُندى الآتى من بلدةِ الجبلِ قد عمّ أرجَاءَ البلاَدِ.. وَأُقيمت الاحتفالاتُ وتُوج طارقٌ ملكًا يشـارِكُ زَوجَتَهُ الملكةَ فِى تصريفِ شئُونِ الحكمِ ويعَاونُه صديقُه عبـود الذِى اتخَذَه وزيرًا له.. وبعدَ أيامٍ قليلةٍ كانَ موكبًـا رائعًا تتصدّره الملكةُ، يودّعُ الملكُ وعبود فى سـفينةٍ ملكيةٍ فاخرةٍ مُزودة بالخدمِ والبحّارةِ.

وقفت الملكةُ تُلَوّحُ بيدهَا لطارق، وقَدْ تلألأَتِ الدموعُ فِى عينيهَا وكانَ هو الآخرُ يُلَوحُ لهَا بإحْدى يديْه، ويده الأُخرى تتحسّسُ جيبَ سُترته المحْتويةِ عَلى خصْلةٍ من شعرهَا الأَشْقرِ.

ومَا أنْ وصَلت السـفينةُ إلى النتُوءِ الصّخرى الذِى يشبهُ رأسَ الثورِ، حتّـى دبّ الخوفُ فِى قلبِ عم عَتيق الذى سَـارعَ بالاختباءِ بالمرّاتِ المنتشـرةِ هُنَـاك، أَمّا البحارةُ والخـدمُ فقد أخذُوا يبتهلـونَ إلى اللّهِ والخَوف منَ الجنّ والعفاريـت يملأُ قُلُوبهم.. ضحكَ طارق وعبود كثيرًا منْ جَهْلهم واعتقَادِهم فى هَذه الخرافاتِ.. ثُمّ قفزَ عبود إلى اليابسـةِ، وانطلقَ إلى الممرّاتِ ممسـكًا بمصْبَاحه يُنَـادى عَمّ عتيق، الذِى توَارى خلفَ أحدِ الصخورِ، ورَبَضَ مُسـتعدًّا للقتالِ. فمَا أنْ شاهدَ عبود حتّى رمَى خِنجره وعَانقه غير مُصَدق وكلمَاته تتلاَحَق:

كِـدت أَنْ أفقـد الأمـلَ فِـى عَوْدتكمَا لكنْ لـمْ يُطاوِعْنِـى قلْبى عَلى الرحيلِ.

وفِى الطريقِ سَــرَدَ عليه عبود - بسرعة - مَا حدثَ له ولطارق، فمَا أنْ شاهدَ طارق حَتّى صاحَ فرحًا وعَانقه قائلاً: حمدًا لله عَلى سَلامتك. الآن يا سـيدى الملك لا يجوزُ لعم عتيق المسْكين أنْ يتحدّثَ إليكَ بهذه البسَـاطة، ضحكَ طارق وعَانــقَ عم عتيق بقوةٍ وَقَالَ: بــلْ يجوزُ أيها الرجلُ العجوزُ.

ومَا أنْ عَادُوا إلى بلدةِ الجبلِ حتّى احْتفَى بهم الملكُ وجموعُ الشعبِ،



وكَانت فرحَةُ الشـعب عَارِمَةً بإلغـاءِ الحرْبِ، وبزوَاج طارق منْ ملكة بلادِ النهرِ وبلادِ الشّلالِ، وأُقيمَت الاحتفالاتُ فِى البلاَدِ، وأذيعَ النبأُ بقيامِ الوَحْدةِ بينَ بلادِ النهرِ وبلادِ الشلالِ وبلدةِ الجبلِ، فسَارَعت كلُّ البلاَدِ المجَاورة بالانضمَام إليهم.

وبعـدَ فترةٍ قصيرةٍ، اسـتأذنَ طارق وعبـود الحاكمَ وغَـادرا - المكَان - إلـى بلادِ النهـر.. وعندَ اقـتراب السـفينة، كانَ موكبُ الملكـةِ ينتظرُ عَودتهم.. وكانتْ رايةُ الوحْدَةِ الكُبرى ترفْرُفُ عَلى صَارى السفينةِ ، كمَا ترفرفُ فى سماءِ بلادِ النهرِ التِى صَارت دَوْلةً كُبْرَى يرهبُ بأسهَا الجَمِيع.